

تيمة الهوية و تجليات الأنا والآخر في رواية:
"حلم على الضفاف" لحسيبة موساوي أنموذجا
د. لزهر ساكر جامعة محمد بوضياف المسيلة

ت الاستقبال: 2020-05-18 ت القبول: 2020-11-21

ت النشر: 2020-12-31

Résumé:

l'identité culturelle est l'expression de la reconnaissance de l'acceptation et du respect de l'homme dans son sillage, elle fait office d'une dialectique entre le moi et autrui elle fait en sorte que chaque société interprète son identité a travers ses communications culturelles, de ce fait, chaque être vivant se transforme et fait sa mue de l'intérieur à la lumière des changements des valeurs et des comportements et de l'extérieur , à partir de l'action des formes d'influence induites des relations de l'individu et de l'environnement comme, elle est aussi une conscience qui se développe , elle fait l'objet d'expérience de ses partisans et de leur victoires et leur perspectives
se roman algérien renferme les indices de l'identité on travers le roman « rêve sur les bords » de la romancière (Hassiba Moussaoui) ainsi , le roman nous présente deux images contradictoires de l'autre :l'ennemie (le colonisateur) et l'homme, c'est - à- dire celui qui sera découvert après l'aron côtoyé. Ainsi, le première image représente le colonisateur dans le passé et l'ennemie de l'identité au présent à travers la personnalité du juif qui porta attente à la personnalité de (Nora) quant à la deuxième image, elle représente l'autre à travers l'épouse de (Hassan marie) cultivant la haine envers le colonisateur, et manifestant de la sympathie à l'endroit des mouvements libérateurs.

Mots clés: Identité, ego, autre, migration, aliénation.

الملخص:

إن الهوية الثقافية هي تعبير عن الحاجة إلى الاعتراف والقبول والتقدير للإنسان وفي خضمها تشغل جدلية الذات والآخر وتعيد كل جماعة بشرية تأويل ثقافتها من خلال اتصالاتها الثقافية، وعلى كائن جماعي حي يتحول ويتغير من الداخل على ضوء تغير المصادر القيمة والسلوكيات، ومن الخارج بفعل أشكال التأثير الناتج عن علاقة الفرد بالمحيط كما أنها كيان يسير ويتطور، وهي تغني بتجارب أهلها وانتصاراتهم وتطلعاتهم، وتمثل الرواية الجزائرية تجليات الهوية من خلال رواية: "حلم على الضفاف" للروائية "حسية موساوي"، حيث تقدم لنا الرواية صورتين متناقضتين للآخر: وهما العدو أي "المستعمر" والإنسان أي "المكتشف بعد المعاشة" فالصورة الأولى تمثلت في المستعمر في الماضي، وعدو الهوية في الحاضر من خلال شخصية اليهودي الذي لوث هوية "نورة" والصورة الثانية تمثلت في الآخر الإنسان من خلال زوجة "حسان ماري" الحاقدة على المستعمر والمتعاطفة مع الحركات التحررية.

- الكلمات المفتاحية: الهوية، الأنا، الآخر، الهجرة، الاغتراب.

مقدمة:

يعد موضوع الهوية في الجزائر أحد الإشكالات الكبرى التي شغلت فكر المثقف الجزائري ارتباطا بالبعد التاريخي الذي يعود إلى المرحلة الكولونيالية، وقد تميز خطاب الهوية لدى أغلب المثقفين الجزائريين بإقصاء الآخر الذي يعدّ شرطا ضروريا لإثبات الأنا، وفي خضم هذا، عدت الرواية الجزائرية بكونها جنسا أدبيا حدثيا بتبوّئها المكانة المرموقة وسط هذا الزخم الأدبي والإبداعي، حيث لقيت رواجا ملحوظا في الوقت الراهن، لما فيها من تيمات تتباين تجلياتها وطقوسها الأدبية والجمالية على السواء، ومنه نطرح الإشكاليات التالية التي تجيب على موضوع الهوية في رواية "حلم على الضفاف" وهي كالآتي:

- ما تجليات الهوية عند الآخر في ميزان القيم النبيلة للأنا الساردة ؟

- كيف صورت الكاتبة دفاعها عن وحدة الهوية وعلاقتها بالآخر ؟

ولهذا كان اختيارنا لصوت نسائي تمثل في الكاتبة والروائية الجزائرية "حسيبة موساوي" حيث اخترنا مولودها الروائي الذي انتقت له عنوانا يدور في فلك الاغتراب الإبداعي والموسوم بـ "حلم على الضفاف" ولا غرابة أن تكون هذه الرواية للكاتبة "حسيبة موساوي" من بين الروايات النسائية التي عالجت مسألة الهوية، عبر التغلغل في قضاياها وملاستها من الداخل، فتطمح من خلالها إلى شد القارئ إلى تلك الصور المنتزعة من الواقع بمختلف طقوسه الاجتماعية/العقدية/الفكرية؛ حيث تتيح له "مواجهة أسئلة تثيرها الحياة تدور حول الأنا وما يعترضها من أزمت في أثناء تشكيل هويتها، خصوصا حين تصطدم بالآخر، فتتضح أمامه إشكالية الأنا والآخر وتتبدى له التشوهات التي تحاصر الآخر، وبذلك تستطيع الرواية أن تتسلل إلى أعماق الإنسان لتناقش ما يمكنه في لا وعيه " (1).

وعليه سنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء والكشف على تمثيلات الهوية وتجلياتها التي تأثرت بدورها بالعلاقة مع الآخر وتمثله ..

1- مفهوم الهوية:

يعرفها "سعيد علوش" بكونها:

"تتعارض مع مفهوم الغيرية، وتستعمل الهوية للإشارة إلى المبدأ الدائم الذي يسمح للفرد بأن يبقى (هو هو) و" أن يستمر في كائنه" عبر وجوده السردي على الرغم من التغيرات التي يسببها أو يعانيتها " (2).

وتعرف أيضا بأنها: "كيفية تعريف الفرد لذاته، ولكن لا يمكن تعريف الفرد لذاته، ولكن لا يمكن تعريف الذات من فراغ، بل يجب أن ينسب الإنسان نفسه لما يحيط به .. وبشكل خاص إلى بني الإنسان" (3).

2- مفهوم الأنا

والآخر:

شغلت مسألة الأنا والآخر حيّزا واسعا عند الأدباء العرب،

فمصطلح "الأنا هو" ضمير متكلم قائم بذاته ولذاته، لا ينازعه أو يشاركه في ذاتيته وبصفته، فهو مستقل عن غيره وإن منتجاً له ونتاجاً عن علاقته به والأنا في هذه الحالة متقمص في مساحته، مسكون بنزعتة الفردية" (4).

ولقد تطرق "شاكر عبد الحميد" كذلك إليه كونه: "أحد الأفراد أو يكون جماعة من الجماعات أو أمة من الأمم، فالآخر قد يكون قريباً وقد يكون بعيداً وقد يكون صديقاً، وقد يكون عدواً نفكر في أنسب الوسائل للتعامل معه" (5)، أي أنّ الآخر في نظره قد يكون جماعة أو أمة أو قريباً أو صديقاً ..

ونحن نبحث عن طرق للتعامل معه، ويرى "عمرو عبد العالي علام" أنّ الآخر "عبارة عن مركب من صفات وخصائص النفس البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكرية، ينسبها فرد ما إلى الآخرين، وكل تعريف يطلق على الأنا من شأنه أن يطلق على الآخر أيضاً؛ أي في حالة أن تكون الأنا ترتبط بعلاقة اختلاف في الجنس أو الفكر أو الانتماء مع الأنا الأخرى تكون الأخيرة في الآخر" (6).

أمّا "عبد الحليم حليم" فيرى أنّ "صورة الآخر من حيث هي متأتية بالنتيجة من قوالب جاهزة ثقافية ودينية وعرقية، ترمي بجذورها في أعماق التاريخ ... هذه الصورة تدعمها وترعاها قوى اجتماعية بإمكانها أن تسقى منها ما يبدر مصالحها المادية كاستغلال الأقليات" (7) وهكذا أصبح الآخر يلقي بظلاله على كل آفاق الذات العربية ويحاول فرض حضوره وهذا ما كان حاضراً في أعمال الأدباء العرب من شعر ونثر.

3. إشراقة الأنا وخلخة الآخر:

مما لا شك فيه أن يكون مبدأ الصراع و التلاحم بين الأنا/الأخر حاملاً لجملة من التقاطعات الحضارية/ الاستعمارية /الإستلابية، ذلك أن "خلفية العلاقة بين الذات العربية والآخر مؤسسة على ذهنية التصادم والصراع وفق معادلة طرفها الأول تحكمه قوة استعمارية تحاول فرض هيمنتها وسطوتها

بأساليب الردع والإذلال أما طرفها الثاني فتحكمه قوة روحية مستمدة من التشبث بالقيم الإنسانية النبيلة في أبعادها الشرقية⁽⁸⁾.

وعليه فهذه القيم النبيلة المشار إليها لدليل بارز على إشراقه الأنا الممزوجة بعبق تراثها العريق وعقيدتها السامية، مما يجعل منها "مصفاة لتلك المرايا المستلبة المشوهة، حيث راهنت الكاتبة "حسيبة موساوي" "أن تجعل من" أحلام الفتاة الحذقة التي تعي الميزان القيمي الذي يجلي حقيقة الذات من حولها وبذلك سعت الروائية إلى تهيئة الأرضية للأنا الساردة "أحلام"، عبر تقريبها من الآخر دون واسطة (عارفة / عليمية)⁽⁹⁾؛ لأن "منح الذات فرصة التعامل مع الواقع مباشرة بدون واسطة هو المظهر الأول والأساسي في معرفة الحياة عن قرب وبعث تلك الحياة المؤسسة على قاعدة إثبات الوجود وحماية (الأنا) من الاندثار والهلاك أو تعرضه للأخطار"⁽¹⁰⁾ بذلك تمكنت "أحلام" من تصيد دلالات الهشاشة خاصة في شخصية - العم حسان تحديدا - ؛ حيث سلطت الضوء على ركن مهم في العقيدة والتقاليد، والمتمثل في سلطة الرجل داخل أسرته، وانصياع الزوجة لأوامره و مطالبه، حيث جاء في قولها: "بينما عمي راح يهتف مناديا زوجته ماري يبحث عنها في كل الغرف فلم يجدها غير ورقة تعلمها فيها أنها ذهبت للتسوق وعليه أن يخدم نفسه بنفسه"⁽¹¹⁾.

هنا يتكشف ذلك الخنوع والانقياد عند "العم حسان" ؛ إذ استلقت منه تلك الهيبة والرجولة الغائبة عنه والتي تركت بدياره (المنسية) من تفكيره الجديد داخل أروقة الجحيم "النورمندي" المستعر، حيث لم يقتصر الأمر عند الزوجة "ماري" فقط، بل تخطى ذلك إلى بناته اللواتي رفعن رايات التمرد والعصيان حينما ألفوه ذاتا هزيلة تقتقد إلى سمات الذكورية الحققة، حيث تطالعنا "أحلام" مستعرضة شخصية ابنته "فريدة"، فقالت عنها: "كانت تبدو أنانية ... مستهترة بالحياة ... لا يهمها أحد .. تدخن كثيرا .. كانت تلبس ألبسة ضيقة

تكاد تلتصق بجسدها .. شفافة .. شبه عارية (...) كثيرا ما راح عمي يستلمها من الشرطة" (12).

تود "أحلام" عبر عرضها لهذه الصورة المشوهة لابنة عمها مآل كل مغترب لا يملك مقاليد السلطة بشئ أنواعها العقديّة والأخلاقية وكذا التّربوية؛ لأن هذه الفتاة التي يطبعها (الاستهتار/ الانحلال الخلقي / الضياع) لم تخلق مع هذه العادات والميزات التي صارت منها يغذي شخصيتها، ونهجا يمضي بها إلى عوالم التيه والضياع، لكنها لم تجد ذلك الأب الذي يحمل قيم الشهامة و الرجولة، والهوية التي ينتمي إليها، فيصيرها إلى فتاة ناظرة ، يميزها الخلق النبيل، وتتمسك بالدين الإسلامي السّمح الجليل، ولعل ما يزيد من بشاعة هذه الصورة الفوتوغرافية التي تنقلها "أحلام" عن ابنة عمها "فريدة" هو ذلك (العار) الذي لحق بالعم "حسان"، وهو ما دلت عليه عبارة: (كثيرا ما راح عمي يستلمها من الشرطة).

لم يكن هذا الحال متعلّقا بـ " فريدة " وكفى، بل الأمر سيان حينما تعرج بنا "أحلام" إلى أختها "نورة" فلم تكن أحسن حالا منها؛ حيث اختارت حرية الارتباط بشخص يهودي يدعى " صاموئيل" الذي كان أحرص من والدها على تثبيت روح العقيدة اليهودية عندها وتعليمها الحرف العبراني، ترميزا وإحالة من الروائية إلى شناعة الاستلاب في ضوء تيه الآخر - حسان - ؛ وهذا ما يؤكده قولها: " لحظتها تيقنت من حقيقة البرق الذي اخترق صدر نورة .. لتنتقل من إنسانة ضائعة على الضفاف .. من إنسانة تائهة إلى إنسانة بنت لنفسيتها شخصية أخرجتها من عتمة الظلام لتجد نفسها مع "صاموئيل" الذي استطاع وبكل تفان وإتقان أن يجردها من روح العروبة، ويزرع داخلها العبرية (...) استطاع أن ينتزع منها تلك الأحلام التي أراد يوما عمي حسان أن يحققها لفتياته هنا على الضفاف " (13).

يبين لنا هذا القول على حقيقة لـ "الأخر" الذي طالما كان عنصرا معاديا للأنثى العربية - وهو (الأخر الصهيوني)؛ وعليه أعادت الساردة "أحلام" ذكره في نهاية الرواية والمتمثل في شخصية (صاموئيل)، حيث كشفت الساردة الوضع المأساوي الذي تعانيه ابنة عمها "نورة" التي اتخذت اليهودي زوجها لها، وبعدها تم الانفصال بينهما، واستلبت قرّة عينها "لوشيا" منه ليفر بها إلى مكان الانتماء عنده (تل أبيب) إلا أن "أحلام" لا تدرك حجم الواقعة بقدر ما كانت تستشرف حالها حين تكبر في ديار (الكيان المغتصب)، تستطعم ذاتها تلك القيم الدنيئة والمشينة كالضعيفة والحقْد والخيانة والكره للذات العربية التي تملك نصيبا منها ؛ بحسب ما يبينه القول الآتي : « كل الذي ستذكره حتما أن والدها يهودي وأن عليها أن تحافظ على انتمائها حتى تحقق بذلك قطعة أرضها تضمها وأباها في سلام بعد أن يغرس أبوها بذرة الحقْد لتنمو شيئا فشيئا إلى أن تكبر وتنفجر في كل العرب مهما كانت مشاربهم» (14).

إن ما تضمنه هذا المقطع السردى من حمولات دلالية و رموزا عميقة، يكشف بجلاء وهج ونضج "الأنثى" ومدى قوة استيعابها لأحداث الواقع؛ لأن خطورة الهمجية الصهيونية على العالم العربي أضحت أقرب مما مضى في السابق؛ خاصة في ظل (الانتماء) بعد الشتات/ الانفصال الذي وضحته "أحلام"، وكأنها بذلك تخزّ الذهنية العربية الغافلة عن مخططات (الأخر المضاد)، الذي يسعى جاهدا إلى محو مقومات المجتمع (العربي الإسلامي) لأن شعارات السلام التي تلوّكها ألسنتهم هي مدعاة للسخرية منهم، وهذا ما جعل "أحلام" صانعة لمفارقة التهكم بهم، وهو ما دلت عليه عبارة: " في سلام بعد أن يغرس أبوها بذرة الحقْد؛ إذ لا يجتمع الحقْد مع السلام، ولكنهم يجعلون منه مطية دينية بغية الوصول إلى أهدافهم الاستعمارية المشينة.

إن تناقضات الحلم والواقع، الطموح، والفشل التي عاشتها "نورة" وغيرها مع الآخر الصهيوني قد تمثل في الدعايات التي روج لها السلام والتعايش السلمي

مع الآخر الإسرائيلي، بيد أن الواقع لا يقدم إلا مزيدا من القمع والتدمير والاستيلاء⁽¹⁵⁾.

ونجد في سياق آخر لم تشفع له تلك التسمية التي اختارها كذلك العم "حسان" لابنته الأخرى "نورة" بعد اعتراف منه على أن رجولته كانت في هذا الموضع وكفى؛ أي عودته المتناقلة إلى هويته في لحظة زمنية سريعة، وهذا ما يبينه قوله على لسانه مخاطبا الفتاة "أحلام" " جمعت رجولتي الغائبة عني منذ مدة من الزمن، لأختار من هناك ..نورة " (16).

فقرأتنا لهذا القول يجرنا إلى تسليط الضوء عبر مفاتيحه الدالة، والتي تعبر عنه الدوال المفرداتية الآتية: (السلطة / القوة / التحكم / السيطرة / الشجاعة .. وغيرها) أما عن الثانية فتكشف عن ذلك الإقصاء والتعالي السلبي للوطن الأم فاستبدل كلمة (الوطن) بـ (هناك) وكأن الجزائر مدينة غريبة عنه لا يعرفها ولا ينتمي إليها ، وأما لفظة " نورة " التي أراد أن يحسن بها هويته شكليا لا جوهرها ؛ ولو كانت نيته إعادة بناء هويته من خلال هذا الاختيار الذي أسماه لألفينا - حسب تصورنا - تكملة كأن يقول مثلا: "نورة.. لأجعل منها امرأة أصيلة، تناظر أم السعد" لكنه اكتفى بالتسمية المفرغة من كل محمول يزيد من وصف حاله بأنها(ممزقة / مشتته / محتضرة / منهوكة/ مستلبة ..).

هذا ما جعله في سياق النص آخر مخبر لابنة أخيه (أحلام) بضياعه في بحر الجراحات، ودهاليز الحلم المظلم الكاذب، حيث خاطبها قائلا: "إيه يا أحلام ..السنوات تمر.. تنطح بعضها بعضا وسفينتي الغارقة لا منقذ لها ولا مرافئ تعود إليها.. تبسم جراحي ما اقترفه حلم كاذب.."(17).

فلا محالة أن تتبلور في ذهنية (أحلام) الفكرة التدافعية مع هذا الآخر القريب نسبا والبعيد هوية ووطنا، فما سمعته منه قد لا يجد صدق ولا تجاوبا داخل ميزانها القيمي المجسد والمبين بعناوين: الهوية / الانتماء/ العقيدة / الموروث، وما يدل على هذه الخاصية التدافعية ، ذلك القهر والإذلال الذي

لقيه (العم حسان) خلال زيارته لبلدته التي ترعرع في حضنها، حيث يسرد عن ذلك الموقف المأساوي قائلاً: « بقيت في البلدة مدة طويلة..أحاول أن أجد نفسي مكانا في حضنها، فلم ألق من نظرات أهل القرية غير نظرات الإذلال والاحتقار.. كنت بالنسبة إليهم حركيا خائناً». (18)

فالكلام هنا يبين لنا ذلك القلق النفسي الذي يخترق نفسيته ، فلم يجد مناصا ومتنفسا مع أبناء قريته، وما يورق خاطره نعتة بـ (الحركي الغادر) هذا الاسم الذي يطلق على أولئك الخونة المعتقدين على حساب أبناء وطنهم المخلصين، وهذا ما يبين ويؤسس للتدافعية التي تقذفها (الأنثى) مع (الآخر) فكان في وقت بعيد تابعا لها.

وعليه فإن حلم التلاقي مع (الآخر) تصبح وهما، أو شدا لخيظ رفيع، لأن علامات العودة تجد لها مغاليق موصدة بإحكام، وهذا ما عبرت عنه "أحلام" في وصفها لهذه الشخصية المنهكة والممزقة : "كان يسند كفه على كتفي .. يدندن بأغنية طويلة .. بحجم السنين التي عايشته هنا.. أشتاق كثيرا إلى العودة ولكن لمن يعود ؟ ومع من يعود ؟ فالأبواب أصبحت صدئة لا تفتح، لقد هجر وطنه وهو ضعيف ، والآن لا يستطيع أن يعود إليه لأنه أضحي ضعيفا أكثر مما كان عليه ". (19)

وهذا لا يمنع أن ندرك ذلك التجاوب الحواري الذي ترسخ عندها في مساءلتها للزوجة "ماري"، حيث رأت فيها صورة المرأة الغربية المتسامحة، التي تنبذ أنواع العصبية، والغل والكراهية ؛ لأنها تستشعر بالإنسانية ، حيث نقلت لنا "أحلام" قولها المنطوي تحت هذه النزعة الإنسانية، فتقول: "ولد الإنسان حرا .. إنسانيتنا تدعونا لنبحث عن حرية الآخرين .. داخل أجسادنا .. داخل أحلامنا .. داخل أرواحنا هكذا علمتنا ديانتنا " (20).

إن الحرية التي تتشوق بها شخصية "ماري" حتى وإن كانت مبادئها إنسانية، إلا أنها تعد هاجسا تدميريا في معتقد "أحلام"؛ لأن العقيدة الإسلامية

التي ترسبت في مخيلتها، وإشربّت لها ذاتها الأصيلة لا تؤمن بعبثية التحرر الذي سينجر عنه الانحلال الخلقي ، خاصة أن السلطة الذكورية تظل متحجرة في ذاتها وفق شكل دائري لا عمودي ، كحال "العم حسان" الذي فقد عدة سمات كـ (الشجاعة / المروءة / الشهامة) وهذا ما جعله يرى منظر أسرته الذي يسمه (الشتات / التيه / الانحلال / التحرر الفاضح ...)؛ ولعل الأمثلة التي استشهد بها في الفقرات السابقة خير دليل على وقع هذه المأساة التي نزلت على فرد أراد أن يتصل من هويته و وطنه ولغته ...

4. الدفاع عن وحدة الهوية:

تكشف لنا رواية "حلم على الضفاف" لحسية موساوي صورتين متناقضتين للآخر، وهما العدو (المستعمر) والإنسان (المكتشف بعد المعاشة). الصورة الأولى متمثلة في المستعمر في الماضي، وعدوّ الهوية في الحاضر من خلال شخصية اليهودي الذي لوث هوية "نورة" مستغلا سذاجتها وتيهها، والصورة الثانية، تمثلت في الآخر الإنسان من خلال زوجة حسان "ماري" الحاقدة والجادة على المستعمر والمتعاطفة مع الحركات التحررية. تعالج الرواية مشكلة الهوية من خلال تيمات (الهجرة/ المنفى/ الاغتراب..) فمنذ البداية هناك تأكيد على الثنائية التقليدية المعروفة للأنا والآخر، فالآخر؛ هو الذي يخالف الذات العقيدة والثقافة، الآخر هو المستعمر، العلاقة معه محكومة بالتصادم والمواجهة، من خلال نظرة مسبقة للفرنسي محكومة بالتاريخ بالماضي الكولونيالي الثقيل، وتمثلت روائيا في نظرة الساردة "أحلام" لأفراد أسرة عمّها وهي نظرة محكومة بالشفقة على حالهم الناتج عن تمسكها بهويتها الضيقة التي تعتبرها الأحسن والأفضل، وذلك لأنها في البداية كانت تمتلك نظرة حاملة عن الهوية لكنها عندما تصطدم بالواقع ستبدأ في تعديلها (21).

تعرض ثنائية (الأنا) و(الآخر) لطرح الكثير من التساؤل والمراجعة، بحسب مستجدات وإحباطات الواقع. تقول الساردة "أحلام" عن امرأة فرنسية رافقتها في

القطار: " وأخيرا ها هو شيء منا من عمقنا.. أهو نابع من نفس كريمة أم هو مواساتي لها داخل العربة جعلها رحيمة هكذا.. كان يخيّل لي من خلال حديثي مع أبي ودراستي للتاريخ الجزائري والمستعمر الغاشم فرنسا إنهم يحقدون علينا ويكرهوننا.. ولا يتمنون للجزائر السلام.. هل أخطأ أبي والتاريخ؟ أم تغيروا؟ أحسست بشيء أنني أشفق عليها.. كنت أتمنى أن تشاركني العقيدة وتلتزم ديانتنا.. فحرام لهذا الجمال أن تبطله جهنم ". (22)، قد يمكن نسيان التاريخ وتجاوزه، إذا تخلّت عن عقيدتها واعتنقت الإسلام، كما نسجل بداية تراجع أحلام عن نظرتها الحاقدة على الآخر المبنية على التاريخ من خلال فعل الشخص وتعامله، نقول عن زوجة عمها "حسان" الفرنسية: " ربما معاملتها لعمي حسان جعلتني أغير النظرة الحاقدة لها ولجميع أقرانها". (23) لكن حاجز العقيدة يحول دون الاقتراب منه، الأمر الذي حفّزها على الاستفسار عن هويّة بنات عمّها اللواتي رأين النور في فرنسا من أم فرنسية. نقول: " كيف هن بنات عمي اللواتي لا أعرفهن أبدا؟.. كيف يفكرن؟ أهن حاققات كالفرنسيات أم حالّات مثلنا؟ أم هجينات .." (24).

في البداية نسجل مواجهة بين "أحلام" وزوجة عمها، من خلال النطق باسمها "أهلام" بدل "أحلام"، كمؤشر على غربة الاسم عبر التحريف الذي وقع له، فمن أحلام أصبحت أهلام .. " رجل اسمي بعيدا عن هويتي.. اغتالت الضفاف بعضا منه". (25)، مما يؤدي إلى سيطرة الشعور بالغربة في البداية على أحلام. نقول: "لأول مرة أحس أنني غريبة وسط أهلي". (26) لكن "أحلام" ستكتشف من خلال مارواه لها عمها، ونتيجة مخالطتها لزوجته الفرنسية "ماري"، أن هذه الأخيرة تشكّل استثناء بالنسبة للتصور الذي يطغى على ذهنها تجاه الفرنسيين، فيتضح لها أنها تمثل الوجه الإيجابي والمشرق للآخر الفرنسي الذي مد يد المساعدة لعمها "حسان" بعد أن لوّث الوجه السلبي لحياته وسلب

حبه لأُمّ السعد، حيث تقول: "كانت ضد لغة الهمجية.. التعسف.. ضد الاحتلال.. ضد الاستعمار" (27).

ومن ثمة، تبدأ في اكتشاف بنات عمها، فتقف على تمزق هوية "نورة" وتشتتها بسبب ارتباطها بيهودي. ستدفعها تطورات حكايتها مع اليهودي "صامويل" إلى البحث عن ذاتها وانتمائها، فتقول في أحد رسائلها إلى "أحلام" بعد أن أحييت فيها سؤال الهوية: "لم يبق من مضخة الدّم غيرنا نبحت عن وجودنا.. عن انتمائنا داخل عتمة جردت كياننا فأضحينا غرباء فوق أرض الغرباء". (28) حيث تستعيد هويتها من جديد لكن بعد فوات الأوان.

والصدمة الكبرى التي واجهت الساردة "أحلام" والتي تعكس توقّفها على تمزق هوية بنات عمّها الذي كان له أثره الواضح عليها بقولها: "أما أنا بقيت منحصرة بين الحنين إلى الوطن والحنين إلى فريدة" (29).

- خاتمة:

بناء على ما تم ذكره، نخلص إلى النتائج التي كشفت عنها دراستنا لرواية "حلم على الضفاف" للكاتبة الروائية "حسيبة موساوي" * حيث كشفنا عن أثر ومعالَم الهوية في الميزان القيمي، والبحث في أغوار الذاكرة التي ركبت صهوتها "أحلام" واتخذتها مطية للوصول إلى عوالم الحقيقة المعاشة (الحرينة/الأليمة/الممزقة) ونبين ذلك كآلاتي:

- الكشف عن موضوع الهوية استدعى توظيفاً للمرأة كرمز حضاري للتأشير على ثنائية الشرق والغرب، فقد مثلت الأولى شخصية "أم السعد" لذا عمدت الروائية إلى توظيفها، وتجسيده كرمز من رموز الجزائر البيضاء، والأخرى جسّدتها شخصية "ماري" التي كانت تمثل رمزاً للغرب.

نقلت لنا الروائية صوراً عجائبية لمدينة "نورموني" التي أبدعت في وصف معالمها بشكل جميل في مقابل تعريتها لأزمة الهوية داخل الآخر المغترب.

وعليه، فرواية "حلم على الضفاف" للكاتبة الروائية: "حسيبة موساوي" تكشف لنا تباينا هاما بين الطموح والواقع؛ إذ كانت تحلم الساردة "أحلام" (واسمها دال) دائما انطلاقا من هويتها التي تعتبرها الأحسن والأفضل بجلب الآخرين ودعوتهم إلى الانتماء إليها أو العودة إليها بالنسبة لبنات العم، بينما الواقع يشهد تصدع الهوية وشرخها.

الهوامش:

- ¹ ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، دط، 2013، ص 103، 104.
- ² سعيد علّوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، سوشبريس، ط1، الدار البيضاء، 1985، ص 225.
- ³ شريف كناعنة، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، تح: مصلح كناعنة، دار مواطن الفلسطينية، دط، فلسطين، 2011، ص 386.
- ⁴ كبرى روشنفكر، هادي نظري منظم، تقابل الحضارات بين الأنا والآخر في رواية (واحة الغروب) مجلة إضاءات نقدية، ع23، إيران، 2016، ص 34.
- ⁵ حاتم زيدان، العيد جلولي، جمالية المراوغة والتوظيف الضمائري للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية، مجلة الأثر، ع 29، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2017، ص 198.
- ⁶ المرجع نفسه، ص 200.
- ⁷ عمرو عبد العالي علام، الأنا والآخر، الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر، دار العلوم، ط1 القاهرة، 2005، ص 14.
- ⁸ ريم الفواز، انعكاسات الآخر في الرواية العربية، أبحاث ملتقى الباحة الأدبي الرابع، تمثيلات الآخر في الرواية العربية، السعودية، ص 212.
- ⁹ مصطفى بوجملين، فجيرة الهوية في رواية "حلم على الضفاف" لحسيبة موساوي، تشطي الآخر أم تغريب قسري، مجلة المخبر، ع6، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014، ص 03.
- ¹⁰ محمد بشير بويجرة، الأنا والآخر، ورهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، دار الأديب، دط، وهران، 2007، ص 27.

¹¹ حسبية موساوي، حلم على الضفاف، دار الروائع، دط، سطيف (الجزائر)، ص 22، 21.

¹² المصدر نفسه، ص 102، 103.

¹³ المصدر نفسه، ص 36.

¹⁴ المصدر نفسه، ص 106.

¹⁵ ينظر: نهال مهيدات، الآخر في الرواية النسوية العربية، في خطاب المرأة و الجسد والثقافة، منشورات عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2008، ص 115.

¹⁶ حسبية موساوي، المصدر السابق، ص 129.

¹⁷ المصدر نفسه، ص 62.

¹⁸ المصدر نفسه، ص 36.

¹⁹ المصدر نفسه، ص 75.

²⁰ المصدر نفسه، ص 37.

²¹ ينظر: بوشعيب الساوري، تمثلات الهوية والآخر في الرواية الجزائرية، قراءة في ثلاثة نصوص روائية، موقع " من المحيط إلى الخليج" ، <http://www.menalmuheetlelkhaleej.com/showthread.php?t=24307> ،

تاريخ التحميل: 2020/05/01 الساعة: 23:25.

²² حسبية موساوي، المصدر السابق، ص 10، 11.

²³ المصدر نفسه، ص 19.

²⁴ المصدر نفسه، ص 15.

²⁵ المصدر نفسه، ص 17.

²⁶ المصدر نفسه، ص 26.

²⁷ المصدر نفسه، ص 46.

²⁸ المصدر نفسه، ص 102.

²⁹ المصدر نفسه، ص 94.

* كاتبة وروائية جزائرية، ولدت سنة 23 مايو 1973 بولاية سطيف / الجزائر، خريجة كلية الحقوق والعلوم السياسية. حاصلة على شهادة ليسانس حقوق وعلوم سياسية، وشهادة الكفاءة المهنية في المحاماة، اشتغلت بالصحافة منذ سنوات وهي الآن مسيرة دار الروائع بسطيف.

عضو رابطة أهل القلم، وترأست تحرير جريدة (جاردينيا). كتبت للطفل، ونالت العديد من الجوائز المحلية، من مؤلفاتها القصصية: "لغة الحجر" و "رجل من قماش" وفي الرواية: "حلم على الضفاف" ، "نزيف الذاكرة" - تحت الطبع - موقع كتارا للرواية العربية: <https://www.kataranovels.com/> ، تاريخ التحميل: 2020/05/02، الساعة: 17:46.